موعظة الشهداء

يحتلنى الحزن على فراقهم، وتسبح وجوههم فى شراييني، فهم قبلة الصلاة، وصوت المؤذن، وسورة الفاتحة، وكلمة الخلق، وسجدة الابتهال إلى الله، وركعة العشق لهذا البلد المسكين العظيم،والذى يواصل ثورته ببركة دم الشهداء، ويشق فى النصر الذى قد يراه البعض بعيدًا، وأراه أقرب إلينا من طرف الإصبع ورمش العين.

إنهم ألف وخمسمائة شهيد من أجل وأذكى وأطهر أبناء مصر، هم القادة والسادة، والنسل الصالح، ونحن التابعين بإحسان إلى يوم النصر، فلا توجد قوة فى التاريخ قادرة على هزيمة الشهداء، وهؤلاء اجترحوا المعجزات، وجعلوا الحلم فى قبضة اليد، ومن أول مصطفى رجب سيد شهداء الموجة الأولى للثورة فى ٢٥ يناير ٢٠١١، وإلى الشيخ عماد عفت وعلاء عبدالهادى ومينا دانيال عناوين شهداء الموجة الثانية للثورة التى بدأت فى ١٩ نوفمبر ٢٠١١، وإلى جابر صلاح «جيكا» ومحمد الجندى وعمرو سعد والحسينى أبو ضيف ومحمد كريستى سادة شهداء الموجة الثالثة للثورة، والتى بدأت فى ٢٢ نوفمبر ٢٠١٢، وقد خلع الشهداء الطواغيت واحدًا إثر آخر، خلعوا الطاغية مبارك فى الموجة الأولى، وخلعوا مجلس طنطاوى وعنان فى الموجة الثانية، ويخلعون حكم جماعة الإخوان القرينة لجماعة مبارك فى الموجة الثالثة المتصلة فصولها، ودون أن يدعى أحد غير الشهداء فضلًا فى قيادتها وإلهامها، فبركة دم الشهداء هى التى تزيح الغشاوات عن الأبصار، وتجعل بصر الأمة اليوم حديدًا، وتسقط أقنعة الزيف، وتحاصر القتلة، وتمد الثورة بزاد متدفق من أجيال جديدة وطبقات جديدة، تواصل الشوط إلى آخره، وتنتصر للشهداء على طريقة الوعد الحق «يا نجيب حقهم.. يا نموت زيهم».

نعم الشهداء وحدهم هم قادة هذه الثورة، وهم صناعها وأنبياؤها بامتياز، وليس أكرم عند الله من دم الشهداء، وهم أحياء فى جنة ربهم يرزقون وينعمون، وعند الناس يبقى الشهيد وعدا بانتصار الحق، وشهداء ثورة مصر هم وعودها الأكيدة بالنصر، وخيط دم الشهيد هو خط سير الثورة، فلم تحقق الثورة نصرها النهائى إلى الآن ولسبب ظاهر جدًا، وهو أن القصاص للشهداء لم يحدث إلى الآن، ولا استراحت أرواحهم، بل جرى القصاص من الشهداء، وجرى القصاص من الثورة، وتوالت وجوه القتلة على كراسى الحكم، فقد قتلت جماعة مبارك «فوج أول» من الشهداء، وقتلت جماعة طنطاوى وعنان فوجا ثانيا، وتقتل جماعة مرسى الفوج الثالث، وقد تضامن القتلة على اختلاف راياتهم وأسمائهم المموهة، ولكن دون أن يتغيروا أو يتبدلوا، فهم جميعا متحدون فى المبنى والمعنى، متحدون فى معنى الانقلاب على الثورة، ورعاية الثورة المضادة، وتصالحوا فى المصالح على حساب الدم، وبذات الاختيارات اللصوصية الخوانة فى السياسة والاقتصاد، وبذات الطريقة فى القمع والتعذيب والسحل والقتل، يريدون أن يطفئوا نور الله ونور الثورة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويأبى الأوفياء لدم الشهداء، ويواصلون ثورتهم فى الشوارع وميادين التحرير، لا يهابون القنص، ولا يخافون الموت، بل يسعون إلى نيل الجائزة الكبرى عند الرب والشعب، وهى الاستشهاد فداء للثورة، وطاعة لقادة الثورة، الذين لم يحملوا سلاحا بل حملوا أرواحهم، وحصلوا على وسام الشهادة ووشاحها، وهو أرفع وشاح تمنحه ثورة النيل لبنيها المخلصين الطائعين لدين الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية.

نعم قادة الثورة هم شهداؤها، وقد طلعوا من أوجاع مصر وأحلامها، تأمل حيوات الشهداء الشبان، وتأمل وجوههم، وتأمل شجاعتهم الخارقة لحواجز الاحتمال البشرى، تأمل هؤلاء الذين ولدتهم مصر من روحها العبقرية، وأسكنتهم منازل الصديقين والأبرار وحسن أولئك رفيقا، تأمل وجوه الشهداء الندية النقية، تأمل الذين كان بوسعهم الهروب من القهر كله، لكنهم واجهوا

الشر فى عينه، لم يفزعوا من لقاء الموت، ولا قالوا خبزنا كفافنا، ولا ابتعدوا عن الخطر، بل تقدموا الصفوف فى ميادين الخطر، وهم يحملون ألم أمة، ويحلمون بأمل الأمة، لم يكونوا فريقا ولا حزبا ولا جماعة، بل كانوا أئمة لكل الفرق والجماعات، وقادوا حزب من لا حزب لهم، وجمعوا قلب مصر على كلمة سواء، وجسدوا معنى الوطنية المصرية الجامعة، وتعالوا على جبن التردد، ولم يقبلوا فى الحق لومة لائم، ولا نصيحة رجال ونساء ملأتهم الشروخ، وقالوا كلمة «لا» فى وجه من استكانوا، ورسموا بدمائهم علامة النصر، لم يروحوا ضحايا لنار القتلة، بل هم الغالبون لأنهم الشهداء، وملكوا طلقات الروح التى هزمت طلقات الرصاص، لم يروحوا ضحايا لطغيان فرعون وسيف هامان، ولم يغوهم مال قارون ولا ذهبه، بل هدموا ويهدمون ملك الغاصبين والقاتين واللصوص، وصنعوا تيارا جديدا من كهرباء القوة يسرى فى بدن مصر المنهك، ويسقط عن البلد تلال تعبه وأدران خضوعه وتراب مذلته، ويحيى كبده المحروق، وينبض بدفق الدم فى قلبه، ويعيد إلى مصر شبابها، وينزع عنها قيودها، ويزيح ركام البلادة، ويشفى من أمراض الشيخوخة، ويبنى مصر الجديدة الطالعة بأشواقها إلى سموات الله الفسيحة، ولا يترك المصريين إلى بكاء الجزع، بل إلى غسيل أرواح بسيل الدموع الحبيسة، فنحن لا نبكى شهداءنا خوفا، ولا ننوح على أجمل شبابنا، بل نهتدى بما صنعوا، ونزف وجوههم إلى أرواحنا المتعبة، ونقتدى بالقدوة العظمى التى تنير طريقنا إلى يوم النصر.

نعم الشهداء هم القادة، ونحن التابعين، وذخيرتنا هى تضحياتهم النبيلة، ودعاؤنا هو أسماؤهم الحسنى: فلا تخونوا شهداءكم، ولا تبيعوا الدم، ولا تقايضوا عليه، بل اسمعوا صوته يدوى فى قلوبنا، يحذرنا من الإحباط، ويعصمنا من التململ، ويمدنا بزاد الطريق، ويهدينا مصابيحه، فلا تصالح على الدم حتى بدم، ولا حوار مع القتلة، ولا انزلاق إلى مساومة، بل هى المقاومة المتصلة، والاعتصام بقوة الناس، والاحتشاد الدائم بالأمل فى نصر الله، والاستعداد

الفائق للتضحية، وبدون الوقوع فى خية التفاضل والجمع والطرح وحساب المثلثات، فليس فى الثورة حوارى ودروب جانبية، فالثورة هى الثورة، الثورة أن نكنس القبح كله، الثورة أن نقيم الحلم كله، وهذه وصية الشهداء، فالثورات - كما الجروح والحروب - قصاص.

"صوت الأمة" فى ١١ من فبراير ٢٠١٣

obeikan.com